

من سير
أعلام الشهداء

١٩

أَبُو نَاصِرِ الْلَّيْبِيُّ

رَحْمَةُ اللَّهِ





أَسْدُ الْجَوَانِ أَبِي نَاصِرِ الْلَّبِيِّ

هو البطلُ الهمام، والقائدُ المغوار، أَسْدُ المعارك، ورَجُلُ المواقف، مَنْ ترْمِقُهُ العيون في الشَّدائِدِ، وَتَسْتَرُّ بهُ الأَبطَالُ فِي الْمَصَابِ، حاتَّمٌ فِي الْكَرَمِ، حَمْزَةُ فِي الشَّدائِدِ، عُمَرٌ فِي أَمْرِ اللَّهِ، أَبُو ذُرٌّ مَعَ إِخْوَانِهِ، يَمْلأُ الْعَيْنَ مَهَابَةً، وَالْقَلْبَ مَحْبَةً، وَالنُّفُوسَ شَجَاعَةً، أَسْدُ الْفَلَوْجَتَيْنِ وَبَطْلُ الْجَوَانِ، فَمَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ؟.

لَحِيَةُ صَاحِبِي (مُحَطَّات) بَدَأَهَا بِالصَّبَرِ وَخَتَّمَهَا بِالشَّجَاعَةِ، وَالصَّبَرُ وَالشَّجَاعَةُ صُنْوانٌ فَلَا شَجَاعَةَ بِلَا صَبَرٍ.

وَقَصَّةُ الصَّبَرِ تَبَدَّأُ عِنْدَمَا تَعْرَفْتُ عَلَى الْحَبِيبِ الشَّهِيدِ وَقَدْ حَطَّ رَحَالَهُ بِالْفَلَوْجَةِ قَبْلِ الْمَعرِكَةِ الْأُولَى بِسَتَّةِ أَشْهُرٍ تَقْرِيْبًا، غَيْرَ أَنَّ الشَّهِيدَ كَانَ فِي ذَاكِ الْوَقْتِ قَدْ أَخْطَأَ الْمَكَانَ، أَعْنَى مِنْ جَلْأٍ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ تَلْكَ الْمَدِينَةِ فَحَاءَ إِلَيْهِ وَقَدْ جُرِّدَ مِنْ جَمِيعِ مَالِهِ لِسَبِّبِ أَوْ لَاَخْرِ، نَعَمْ مَالُهُ، فَقَدْ كَانَ الشَّهِيدُ وَحْيَدُ أُمَّتِهِ، فَلَقِدْ مَاتَ أَبُوهُ وَتَرَكَهُ مَعَ بَنَاتٍ يَعْوِلُهُمُ الْخَالُ، وَلَكِنَّ الرَّجُلَ عَمِلَ بِالْتِجَارَةِ وَفَتَحَ مَحَلَّ لِبَعْيِ الْمَلَابِسِ وَبَعْدِ رَحْلَاتٍ مَكْوَكِيَّةٍ بَيْنَ تَرْكِيَا وَفَرْنَسَا وَإِيطَالِيَا أَسَسَ عَمَلًا تِجَارِيًّا جَيِّدًا مَعَ خَالِهِ، لَكِنَّ الْخَالُ وَالْإِبْنِ أَعْنَى أَبَا نَاصِرَ (فَالْخَالُ وَالْدَّادُ) قَرَرُوا الْجَهَادَ بِالنَّفْسِ وَالنَّفِيسِ، فَبَاعَ أَبُو نَاصِرَ وَخَالَهُ مَا لَهَا مِنْ تِجَارَةٍ وَشَدَّا الرُّحَالَ إِلَى الْعَرَاقِ، بَعْدَمَا اسْتَأْذَنَ الْبَطْلَ أُمَّهُ وَالَّتِي امْتَلَىءَ وَجْهُهَا بِشَرْءًا وَسَرْوَرًا قَائِلَةً لَهُ: لَكُنْ سَلَّمْ لِي عَلَى وَالدَّكِ فِي الْجَنَّةِ عَسَى أَنْ أَلْحِقَ بِكُمَا وَتَكُونَ لِي شَفِيعًا، أَلْسْتُ أَوْلُ مَنْ تَشْفَعُ لَهُ يَا وَلَدِي؟.

تعانقاً وَبَكَاءً - لِغَةُ الْمُحَبِّ - كَانَ سَيِّدُ الْمُوقَفِ وَمَنْ حَوْلَهُمَا أَخْوَاتِهِ يَبْكُونَهُ وَيَدْعُونَهُ. التَّحْقَقُ أَبُو نَاصِرَ بَيْتُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الشَّامِيِّ مَعَ إِخْوَةِ لَهُ صَالِحِينَ يَنْتَظِرُونَ الْيَوْمَ الَّذِي يَخْرُجُونَ فِيهِ يُرَغِّبُونَ بِسَلَاحِهِمْ غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ تَأْخِرُ، عَذْرًا نَسِيتُ أَنْ أَقُولَ وَمَا أَنْسَاني إِلَّا الشَّيْطَانُ، أَنْ أَبَا نَاصِرَ قَبْلَ أَنْ يُودُّعَ الْفَلَوْجَةَ إِلَى بَغْدَادَ كَانَ قَدْ وَدَّعَ خَالَهُ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنَ عِنْدَ مَلِيكِ مَقْتَدَرِ نَحْسِبُهُ وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، حِيثُ خَرَجاً فِي مَعرِكَةِ مَعَ الْأَمْرِيَكَانِ



بالقرمة استشهاد فيها حاله ونجا الشهيد، لكنه تعلم الدّرس الأول: "أن التّعجل وسوء التخطيط عواقبه غير محمودة وأن القيادة لها مَا لها في المعارك".

وببغداد سئم أبو ناصر من الانتظار فقد طال ثلاثة أشهر، غير آتي كت أنفترسُ فيه النّجابة، فقلتُ له يا أخي اسمع مين لعلَ الله يُوفّقك لعمل يرضيه عنك فاصبر، لأنك لو خرحت من هنا هل تستطيع أن تقاتل في غيرها.

وكتتُ أقولُ له ولغيره وبعد تجارب مريرة كثيرة: والله لو أعلمُ آتي سأضربُ طلقة في نحر عدو بعد عام لانتظرت حتى أضرها لأنني أعلم أني لا أستطيعها في مكان آخر، ولو استطعتُ ففي مدة أكثر من هنا.

وانتظر الشهيد وجاءت الفلوحة الأولى ولحقَ مع منْ لحقَ بها من المقاتلين وبدون ترتيب مُسبق وجدتُ نفسي وإيّاه في الجولان والقصّة طويلة.

غير آتي هنا أحبُ أن أقولُ شهادة الله ثم للتاريخ قد يظن القارئ أنه ليس لها علاقة بالموضوع، وهي كيفية التحاقنا بالجولان، وليعلم الناس شرف القائد وعلى الخصوص (عمر حديد) لما دخلَ الأمريكان أطراف الفلوحة بعد حادثة المدربين الأربع و كنتُ حاضراً على قصتهم.

أقولُ جاء الأمريكان فجأةً إلى أطراف الجولان فلجمأت إلى بيت الشهيد القائد عمر حديد فإذا به يزار في إخوانه وأولاد عمه هيا اخرجوا بسرعة كل واحد يأخذ سلاحه فتنازعتُ أنا وأخوه سلاح كلاشنكوف بلا جعبة، فقط السلاح وشاجور وحيد، مرة أحمله ومرة يحمله، حتى فتح الله عليًّ في أول يوم بسلاح غنيمةً من الحرس الوثني.

أقول خرج عمر وإخوانه مكشوفي الوجوه والنّاس في عجب يقولون لهم غطوا وجوهكم والرّجل يقول وبصوت عال اخرجوا دافعوا عن دينكم عن عرضكم عن أرضكم ولا حراك لأحد فأشفقتُ على عمر، ماذا لو سيطر الأمريكان؟!، ماذا لو دخلوا ووشى به الواشون؟ لكنَ الرجل كان يريد الله أحسبه والله حسيبه لذلك رفعه الله في الدنيا وإنَّه إن شاء الله في الآخرة أرفع.



أقول لجئنا إلى الجولان وبدأت المعركة حاميةً الوطيس وبدأت حمم النار تُصب على المدينة واستطاع أبطال الجولان وعلى رأسهم أبو ناصر وأبو عمّار السُوري الأمير أن يحققوا أول مكسب في أول تجربة كانت الفصل. تم تحيز الطيران الهليكووتر (السميتية) فحال دخوها مجال المجاهدين أمطروها بوابل من رصاص البيكا والكلاشن فهوت أوّلها.

وفرّ بقيتهم، فكبّرنا وحَمَدْنَا الله، وبعدها تحرّئنا على العدوّ وتم انسحاب السُّمتيات من المعركة، ودارت الحربُ وكان لأبي ناصر السبق حيث أُسند إليه إمرة سرية من سرايا الجهاد المرابطة حداء العدوّ والتي يتزلّ فيها الموت كالسَّيل الجارف، وحينئذ وفي صباح أحد الأيام جاء أحد الإخوة يقول سمعت في الحراسة دقًا خفيفاً منتظمًا يصدر من هذا البيت أظنُّ أهُم قناصة تقدموا في الظلام وسيطروا على البيت لأن المنطقة حينها كانت خالية من السُّكَان، فأرسلت من يتحقق من ذلك من جهة الإخوة الأكراد فأكَدُوا الخبر، فاجتمعنا وعلى رأسنا أبو عمّار السُوري الأمير وأبو ناصر وأمير الأكراد جُنْد الله وبعد الاستشارة أجمع الرأي أنه لابد من مهاجمة البيت لأسباب كثيرة أهمّها: أنَّ القناصـة إذا سيطروا عليه شلّوا حركتنا واقرب العدوّ أكثر، ولا بدّ من التضحية، فتم ترشيح أبو ناصر ليكون أميراً على سرية الاقتحام وتم تحديد كيفية الهجوم وأفراد المجموعة ووَدَّعُـهم على بركة الله وكان من المنتظر أن تبدأ العملية بعد ساعة فجأة من يقول أنَّ أبي ناصر حُوصرَ هو ومن معه، وسرى الخبر في الجولان وانتشر انتشار النار في الهشيم ففرَّ الناس إلينا وكان مئون فزع عمر حديد والشيخ أبو انس "تقبلهما الله" وغيرهم من أفالـل وأكابر الإخوة المجاهدين.

وبالفعل رأينا السُّمتية تنادي بالمكـرات أتـكم محـاصرونـ وأنـنا سـوف تـبـيدـكم خـلال نـصف دـقـيقـةـ، فـزـحـفتـ المـجـمـوعـاتـ بـاتـجـاهـ الإـخـوةـ وـجـاءـ إـلـيـنـاـ الـمـجـاهـدـونـ منـ كـلـ صـوبـ وـتـمـ تـوزـيعـ النـاسـ لـفـكـ حـصارـ الإـخـوةـ.

وبيـنـماـ نـحنـ كـذـلـكـ إـذـاـ بـالـتـكـبـيرـ يـنـطـلـقـ مـنـ الدـاخـلـ وـقـدـائـفـ الـRBGـ هـدـ حـصـونـ العـدوـ عـلـامـةـ أـنـ هـجـومـ أـبـوـ نـاصـرـ بـدـأـ وـلـيـشـرـ أـنـ الـقـومـ غـيرـ مـحـاصـرـينـ، وـبـعـدـ نـصـفـ سـاعـةـ



مجلس شورى المجاهدين في العراق

من الاشتباك سيطر أبو ناصر على بيت القناصة، وكان هناك بيت آخر مجاور لم يكن يعلم الإخوة وجود أمريكان فيه، حيث قاموا بفتح النار على أبي ناصر و مجتمعه إلا أنَّ الله سَلَّمَ وغَنِمَ الإخوة أسلحة القناصة وقتلوا من داخل البيت ورجع أبو ناصر بشهيد وجريح فوجد النَّاس في انتظارهم، فقال ما لكم؟ قالوا ظنناك حوصرت، قال: الحمد لله؛ لا، وهذا البيت تَنَاقْلُتُه وسائل الإعلام تصويراً.

وفي تلك الأثناء بدأت أكبر معارك الجولان وأشدُّها ضراوةً وأط渥ها مُدَّة، لكن لأنَّ المشيئَة الإلهية هي التي تُدبِّر وَتُوفِّق، ونظراً لأنَّ النَّاس قد اجتمعوا لأجل فكَّ الحصار وسدُّوا الثغرات تمَّ صدَّ الهجوم وتكبید العدو خسائرَ فادحة في الأرواح والمعدات، حيث تمَّ تدمير دبَّابتين ومُدرعَة وأُسْقطَت طائرةً والحمد لله وهذا من تدبِّر الله لنا، إذ لو جاء العدو بهذه القوَّة قبل قضيَّة الحصار بدقاائق لدخلوا الجولان بكل سهولة، لكنَّ الله هو المُوفِّق والمُسْدَد والمُدبِّر فمعركة الفلوجة كان لها ما لها.

ثم مضت الفلوجة الأولى، وبين المعركتين أعني الفلوجة الأولى والثانية انشغلَ أبو ناصر بأمر آخر، حيث قام بتدريب عدد كبير من الإخوة على تصنيع المتفجرات وتشكيل سرايا للقتال خارج العراق وتمَّ له ما أراد.

فَلَعْلَّ اللَّهُ يسمِّنَا عَنْهُمْ خَيْرًا قَرِيبًا إِنْ شاءَ اللَّهُ.

ومضت المعارك ضاربةً وخاصةً قبل موعد الفلوجة الثانية بشهر أو شهرين فتم تنظيم الحماية للمدينة وتوزيع الكتائب لحماية مداخلها فأُسْندَت الصناعة للقائد عبد العزيز، وجبيل للقائد أبي ياسر، والعسكريّ للقائد أبي عبيدة رحمه الله، والشهداء للقائد أبي عبد الله التونسي، وأخيراً وأهم النقاط الجولان للقائد الشهيد أبي ناصر، حتى لا أطيل قام الشهيد بترتيب مجتمعه على قدر المستطاع إلا أنَّ هذه الكتبة كانت أحدث الكتائب تشكيلاً والتحق بها معظم الإخوة الجُدد من قليلي الخبرة، وفجأة دقَّ ناقوس الخطر واشتعلت نيرانُ الحرب وبدأت الفلوجة الثانية، وحدَّث الاختراق المعروف للجبهة من جهة (الجغيف) النقطة الوحيدة من الجبهة التي تركناها لغيرنا، والحقُّ يُقال أنَّهم أيضاً ما قَصَّرُوا ولكن هذا جُهدهم والله يغفو عنَّا وعنَّهم.



دخلَ العدوُّ وحاصرَ الجولان وانتشرَ القناصة فجأةً خلفَ ظهورِ الإخوةِ وسيطروا على كافةِ الطرقِ والتقاطعاتِ، وحتىَ مآذنِ المساجدِ، وتقدّموا من جهةِ الشّرطِ وقاتلَ أبو ناصرَ قتالَ الأبطالِ وبدأتَ اللّيالي تتسلّقَ، فهذا أبو العيناءُ أميرُ نقطةِ الشّاطئِ شهيداً يتبعُه جاسمُ ابنِ عمِّ عمرِ حديدٍ ثمَ عبدِ الستارِ أخوهِ وغيرِهمِ وازدادَتِ الجراحُ في الإخوةِ وبدأتَ الدّماءُ تنزّفُ ولمْ يبقَ مكاناً آمناً في ذلكِ الوقتِ إلّا القسمُ الجنوبيُّ من المدينةِ.

فقامَ أبو ناصرُ وأبو همامُ الليبيُّ "رحمهُ اللهُ عليهما" بعمليةٍ بطيئةٍ أدهشتَ الجميعَ. وضعَ أبو ناصرَ الجرحيَ في سيارتهِ البيكَ أبَ و قالَ لأبي همامَ تَوَلْ أنتَ أمرَ القيادةِ وسنحاولُ تجاوزَ الشّوارعِ والتقاطعاتِ والتي ملئتُها الدّباباتُ والقناصُونَ وكانتَ الخطةُ أن يتقدّمَ أبو ناصرَ ويفتحَ خطّاً كثيفاً من النارِ باتّجاهِ الدّبابةِ من خلالِ B.K.C وفي تلكِ اللحظةِ يعبرُ أبو همامُ بالسيارةِ وبالفعلِ تمَ تنفيذُ الخطةِ وتجاوزَ الإخوانَ أكثرَ من عشرةِ شوارعٍ وتقاطعاتٍ.

ووصلَ إلىَ أبو ناصرَ في حيِّ نزالِ ففرحتُ بنجاتهِ ومن معهِ، وفي تلكِ الليلةِ بَتْ وإيَّاهُ وأبو همامُ في بيتِ واحدٍ مُظلمٍ لا ماءَ فيهِ، فأشعّلتُ ضوءَ كشافِي لأرىَ أبو ناصرَ وأبا همامَ كأنهما قمرَينَ طلعاً وسطَ هذا الظلامِ وتعجبتُ لسرِّ هذا الجمالِ المفاجيءِ، وقد تعلّمتُ وخبرتُ أنَّ الأخَ إذا حانَ وقتُ استشهادِهِ جمِّلَ خُلُقهُ ونصرَ وجهُهُ وصارَ في النّاسِ شامِهِ، فبداءَ ليَ الأخوانُ في تلكِ الليلةِ كذلكَ فاقشعرَ جسديَ وقلتُ في نفسي: اللهُ غالبٌ.

ورمى حبيبيَ جسدهُ على الفراشِ واستلقىَ حذاءهُ وكانَ متعباً جداً وهنا قالَ لي، أميَ قالتَ ليَ مثلاً: قالتَ أم لابنهاِ الفقيرِ يا بنيَ لا تأكلُ إلا العسلَ ولا تنام إلا على الحريرِ، فقالَ لها: يا أميَ كيفَ ذلكَ وأنا فقيرٌ، قالتَ له: لا تأكلُ إلا وأنتَ جوعانٌ ولا تنام إلا وأنتَ متعبٌ.

وأصبحَ الصّباحُ وتمَ تشكيلِ سريةٍ اقتحامَ من النصفِ الجنوبيِ للنصفِ الشماليِ وعيّنتُ عليهاَ أبو ناصرَ أميراً، وقالَ له أبو عزامَ "تقبلهُ اللهُ" أرجو منَ اللهِ أن تصليَ الظّهرَ في



جامع أبي عبيدة والعصر في الفاروق - يعني تفتح الجزء الشمالي حتى تلك النقاط، وكان ذلك ضرباً من الخيال، وسبحان الله صلّى أبو ناصر الظهر في أبي عبيدة والعصر في الفاروق، إلا أنَّ جريحاً جُرِحَ عنده فوضَعَهُ في سيّارته وعاد لكي يضعه عندنا في مأمن وكان الحاجز بيننا شارع الحاج حسين أو الشارع الذي يربطُ بين الجسر الجديد وجسر السريع.

فوقف على الحاجز الآخر وقال أريدُ أن أعبر إليكم فقال له الأخ عبد الهادي لقد عبرت عدة مرات هذا اليوم والدبابات انتبهت إليك وأخاف عليك فلا تعبر، قال عندي جريح سيموت والله الموفق، فتقدّم أبو همام يقود السيارة وفتح أبو ناصر نار الـB.K.C على الدبابة كالعادة، وقبل أن يصل إلى الجهة الأخرى بمترين استقرّت قذيفة دبابة في السيارة فاستشهد أبو همام في الحال وقطعت قدم أبو ناصر فأخذ يكبّر ثم تشهّدَ وانتقل إلى رحمة الله أمّام عين عمّه أبي عبد الله الشامي، ومن العجائب التي تُحكى وليعلم النّاس أن الله هو الحافظ، بجا الجريح وقتل حاملوه حيث نزلَ من السيارة بسرعة وزحفَ إلينا، وبجا من الموت بأعجوبة والله قادر غالبٌ حكيم فأصاب الجميع همّ وغمّ لا يعلم به إلا الله حيث فقدت المدينة في أحلك المواقف أهمّ وأجرأ قادها أسأل الله أن يلحقنا به ولا يحرمنا أجره وأن يجمعني به في جنّات صدق عند مليك مقتدر.

و لا أظنك يا أخي الكريم تُسيّت أختيك: أهل أبي عبد الله وابنته زوجة أبي ناصر، وكيف كان وقع الحال على المرأة وابتها.

فالأم فقدت زوجها في بلاد لا عَمْ ولا خال، ولا أخ ولا حتى مأوى يؤمنون فيه، فقد تفضّل عليهم وعلى زوجتي أخ كريم وأجلسهم في بيته إلا أنه لف्रط خوفه عليهم دهن الزجاج باللون الأسود وأغلق عليهم جميع المنافذ حتى لا يخرج أي صوت إلى الخارج. وكان الخبر قد خرج مع من خرج من الفلوجة أن أبا عبد الله حيٌّ يُرزق وأنه خرج جريحاً إلى منطقة الصقلاوية وأن العبد الله قُتلَ شهيداً أو أنّي ما زلت مفقوداً وجلست أم عبد الله وابتها يُصيّران أهلي.



وفجأة خرجمت من الفلوحة بعد حرب السبعين يوماً وفوجيء الجميع بوجودي حي وباستشهاد أبي عبد الله وزوج ابنته، بقي عليّ وأنا محروم في صاحبي أن أخبر زوجته الغريبة المختبئة وابنتها بنبا الشهيدتين وفعلت، وما أردت، وحدث ما توقعت، فقد بكت البنت على حداثة سنّها على زوجها حتى قطعت أكبادي فهي ابني وأعرفها جيداً قبل الحجاب، ولم أستطع معها حلاً إلا أن أدعو الله لها ولأمها وكافة أخواتها أن يحفظهم من كل مكرٍ وسوء وأن يبعد عنهم مكر الأعداء ومكر الجوايس، وللعلم فهمما الآن في مأمن والحمد لله قد ذهبَ عنهم بعض ما وجدوا والحمد لله على النّسوان ولطف الله بعباده.

وكتبه

أبو إسماعيل المهاجر